



تحدّث المعارض السوري، الدكتور هيثم مناع، في مقابلة أجرتها معه قناة غسان بن جدو الفضائية، في العشرين من يناير/كانون الثاني الحالي، عن الذكاء. قال إن علينا، الآن، أن نرجع إلى تصنيفات العالمة ابن الجوزي، فنقول إن فلاناً من الناس ذكي، والآخر غبي، بغض النظر عن الأيديولوجيا التي يحملها كل منهما. وعلى الفور، دفعنا ذكاً، نحن المتابعين، إلى الاستنتاج أن مناع يصنف نفسه في فريق الأذكياء، وإنما كان أدخل نفسه في هذه الخانة الإشكالية أصلاً.

قبل الثورة، في الحقيقة، لم يكن يوجد بيننا رجل واحد يشك في ذكاء الدكتور هيثم مناع. كنا نتابع برنامجه "حقوق الناس" على قناة الحوار اللندنية، فنندهش من جرأته وإصراره على فضح انتهاكات إسرائيل والأنظمة العربية المختلفة، بلا استثناء، حقوق الإنسان. لكننا، الآن، بعد خمس سنوات من الثورة، سنضطر إلى ترك تصنيفات ابن الجوزي جانبًا، ونقتطف من فيلسوف آخر، هو النفرى، قوله بارعاً هو: العلم المستقر، جهل مستقر.

خرج (استقرارٌ عِلْمٌ) هيثم مناع عن طوره، اعتباراً من بداية الثورة السورية في أوائل آذ 2011، وبدأت تصريحاته تنم عن حالةٍ تشبه حالات الطيش، وفقدان الصواب. فحينما كان النظام السوري يعاني الأمرّين في تسويق أكذوبته إن هذه الثورة السلمية النظيفة ليست ثورة، وإنما مؤامرة مسلحة، فاجأنا بتصريح يقول إن فكرة التسلیح عُرِضَتْ عليه، لكنه رفضها... فبدأ إعلام النظام يشتغل، ليلاً ونهاراً، على الاستفادة من هذا التصريح الغريب.

كان تسلیح الثورة، برأي كثيرين، وأنا منهم، خطأ تاريخياً، أدى إلى تحويلها إلى حرب، أو ما يشبه حرباً أهلية طاحنة. وفي مرحلةٍ لاحقةٍ، تسلل الجهاديون المتطرفون، من تنظيم القاعدة وغيره، إلى صفوف الثورة، رافعين الرايات السود، مظهرين عداءهم للثوار المدنيين الأكابر. ووقتها، ضحك النظام السوري في عُبّه، وأخرج شعاراً (الأسد أو نحرق البلد) من حيز الغرف المغلقة إلى الساحات العامة، وأصبحت، من ثم، القذائف التي يطلقها على المدنيين في المناطق الثائرة أقل خجلًا، وأكثر علانية ووقاحة، وبدأت طائرات الهليوكوبتر تعمل مثل (باصات الهوب هوب)، في نقل البراميل المتفجرة، لتلقّيها فوق

المشافي والأسواق والبوازير والمخابز والمدارس؛ وبدأنا نحن، في المدن الثائرة، نمضي أوقاتنا في استخراج أشلاء أهالينا من تحت الأنقاض، وتجميعها، ونقلها إلى المقابر، وتهيئة الطرقات للخائفين من الموت، لكي ينزعوا ويتبعثروا في بلاد الله التي كانت واسعة، ثم أخذت تضيق علينا بالتدريج.

أردت القول إن الذين يشترون مع هيثم مناع في الرأي حول خطورة تسلیح الثورة وأسلامتها كثيرون، لكن هذا لا يسوّغ لأحد منهم أن ينسى جذر المشكلة، أو يغض الطرف عن إجرام النظام، وعن كونه يستعين بدولٍ وميليشياتٍ لا تقل إجراماً وتطرفاً عن تنظيم القاعدة. هذا ما فعله مناع، في أغسطس/آب 2013، حينما زعم أن جبهة النصرة هي التي ضربت الغوطة الشرقية بالكيماوي، فتخيل الناس أن في حوزة "النصرة" طائرات، ومطارات، وحاملات طائرات، ومعامل لصنع الكيماوي، وأنها فوق ذلك، لا تستخدم هذه الإمكانيات ضد النظام، وإنما ضد شعب الغوطة.

برأيي أن منسوب الذكاء عند هيثم مناع انخفض إلى أدنى مستوى ممكן، حينما أعلن، في مقابلة قناة بن جدو نفسها، أنه رفض الانضمام إلى وفد المعارضة الذي تشكّل في الرياض، لأن فيها أناساً ارتكبوا جرائم ضد المدنيين!.. فكان بشار الجعفري، وفيصل المقداد، وعمران الزعبي، وبقية أعضاء وفد النظام السوري لم يرتكبوا جرائم ضد المدنيين في سوريا. أم أن الشخص الذي يقتل، في قاموس مناع، يجب أن يقتل بيده، والذين يباركون القتل ويدافعون عنه ويؤلفون الأكاذيب لتسويغه ليسوا مجرمين. يا سيدى، في هذا الحالة، يطلع معك أن بشار الأسد ليس مجرماً، لأنه لم يقتل بيده.

أخيراً، علينا، نحن الذين نحب هيثم مناع ونتمنى له الخير، أن نحمد الله تعالى، لأنه أعاد إليه معدل الذكاء الخارق الذي كان يمتلكه في الماضي، بدليل أنه أعلن، مساء السابع والعشرين من يناير/كانون الثاني 2016، أنه يرفض الاشتراك في الوفد المعارض، إذا لم يضم الوفد الأخ صالح مسلم، زعيم البي بي دي.. أي نعم.. فسجل صالح مسلم نظيف تماماً، وحالٍ من كل ما له علاقة بالجرائم!

العربي الجديد

المصادر: